الخشوع

من منا خرج من صلاة وهو أفضل حالًا قبل دخوله فيها؟

بل من منا خرج من عبادة وهو أفضل حالًا قبل دخوله فيها؟

من منا سمع آية فوجد قلبه من الخوف ينفطر، وعينه من البكاء تعتصر، ونفسه من الخشوع تنكسر، ودينه على أهوائه ينتصر؟

ومن منا ذاق حلاوة الخشوع والخضوع لله تعالى؟

تكلمنا عباد الله عن التواضع، ومن ثمرات التواضع مع الناس التواضع مع الله، وكذلك من ثمرات التواضع مع الله التواضع مع الناس، فمن تواضع مع شرع الله انقيادًا وإذعانًا؛ أثر فيه الشرع، فوجد الخشوع.

فالخشوع هو: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، قال الجنيد: (**الْخُشُوعُ تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ**)[1].

ويأتي الخشوع في القرآن بمعانٍ كثيرة تدور حول الذل، والسكون، والرهبة، والتواضع لله تعالى، فيأتي الخشوع بمعنى الذل كقوله تعالى: ﴿**وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**﴾ [طه: ١٠٨]، ويأتي بمعنى السكون للجوارح، كما في قوله سبحانه: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١ – ٢]، ويأتي بمعنى الخوف، كما في قوله جل شأنه: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ويأتي بمعنى التواضع كما في قوله تعالى: ﴿**وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٥]، ويأتي بمعنى اليبس والجمود كقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ [فصلت: ٣٩].

والخشوع عباد الله يكون كما استمعتم في كل عبادة من العبادات

[1] مدارج السالكين (٥١٧/١)، لابن القيم رحمه الله.

ونتناول الآن عباد الله تعالى عبادة الصلاة، كيف تخشع فيها؟

إنك إذا دخلت المسجد، فخلعت نعليك؛ فاخلع الدنيا معها، وخاطب نفسك، وقل لها: إني انشغلت بالدنيا عن الله فترة من الزمن، فدعيني أتفرغ لعبادة الله ساعة.

فإذا وقفت واستقبلت القبلة؛ فاعلم أنك صرفت وجهك عن الجهات كلها إلا وجهة بيت الله الحرام؛ وهذه قبلة بدنك؛ أما قبلة قلبك إلى ملك الملوك الذي هو في السماء، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

ثم تقول: الله أكبر، لماذا لم تقل: سبحان الله أو لا إله إلا الله؟ ذلك لأن الله يعلم أنك إذا دخلت في الصلاة لن يتركك أعداؤك؛ فهذا يذكرك بالأموال، وهذا يذكرك بالأطيان، وهذا يذكرك بالتجارات، وهذا بالأبناء، لكن حين تقول: الله أكبر، أي أنه سبحانه أكبر في قلبي من كل هذا.

إذن أيها المسلم، إذا كبرت؛ فلا يُكذبن قلبُك لسانَك، فإن كان في قلبك شيء أكبر من الله؛ فقد كذبت، ثم تستفتح الصلاة، فقد كان الرسول ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة، فسأله أبو هريرة رضي الله عنه: ماذا تقول؟ قال: (**اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ**)[1].

وخص النبي ﷺ الثوب الأبيض؛ لأن الوسخ يظهر فيه، وإذا سألت: أليس الماء الساخن أفضل في التنظيف؟ فقد سأل ابن القيم رحمه الله هذا السؤال لابن تيمية رحمه الله، فقال له: **(الخطايا توجب للقلب حرارة، ونجاسة، وضعفًا، فيرتخي القلب، وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه، فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا؛ اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث ويطفئ**

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٤٤)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٥٩٨).

النار، فإن كان باردا؛ أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبرَد؛ كان أقوى في التبريد، وصلابة الجسم، وشدته، فكان أذهب لأثر الخطايا)[1].

ويقول ابن دقيق العيد: (**عَبَّرَ بِذَلِكَ عَنْ غَايَةِ الْمَحْوِ، فَإِنَّ الثَّوْبَ الَّذِي يَتَكَرَّرُ عَلَيْهِ ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ مُنَقِّيَةٌ يَكُونُ فِي غَايَةِ النَّقَاءِ**)[2].

ثم بعد الاستفتاح تقرأ أعظم سورة في القرآن كما وصفها النبي ﷺ، سورة الفاتحة؛ لأنها تُفتتح بها القراءة، وسميت بأم الكتاب؛ لأنه يُبدأ بكتابتها في المصاحف، ولأن معاني القرآن كله ترجع إليها، وسميت بالسبع المثاني؛ لأنها تُثنّى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة.

يقول جل وعلا في الحديث القدسي: (**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ ، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾ ، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ ، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ: مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾ ، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾، **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**)[3].

تدبر وقف عند كل آية حتى تسمع مولاك وهو يرد عليك، فإذا قلت: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ تذكر ساعتها بقلبك وعقلك ما أنعم الله به عليك، وإحسانه في وجودك، ونعمة المطعم، والمشرب، والمنكح، والمسكن، فإذا قلت: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣]؛ فتأمل رحمته في حياتك، وحتى بعد مماتك، وتأمل أنه الرحمن، فيرحم كل أحد،

---

[1] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٥٧/١)، لابن القيم رحمه الله.

[2] فتح الباري (٢٣٠/٢)، لابن حجر رحمه الله.

[3] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣٩٥).

وتأمل كذلك أنه الرحيم بالمؤمنين: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وتدبر أن الله أنزل من الرحمة جزءا واحدا به يتراحم الخلائق، وادخر عنده باقي أجزاء الرحمة المائة.

فإذا قلت: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤]؛ فتذكر مآلك في عالم الآخرة، فهو ملك الملوك، فتأمل ما يحدث في يوم القيامة من الأهوال، وما يحدث فيه لمكافأة أهل الإيمان.

فإذا قلت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ تذكرت المهمة التي خلقت لها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتذكر أن العبادة له فقط؛ لأن تقديم المفعول يفيد الحصر، والعبادة هي الذل لله، يقال: طريق معبد، أي: مذلل.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، فلا يستعان ولا يعتمد إلا على الله، وتدبر تقدم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، وذلك لأن العبادة هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها.

وتدبر، فقد كان الكلام أولًا بضمير الغائب، ثم في ﴿إِيَّاكَ﴾ صار بكاف الخطاب، وكأن العبد لما أثنى على الله وحمده؛ اقترب منه، وكأنه واقف الآن بين يديه، فخاطبه.

وتأمل عبد الله، في قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والنون هنا للجمع، والداعي واحد، وهذا ليس مقام تعظيم، وكأن العبد لما دخل في عبادة الله، قيل له: وأنت في أثناء العبادة، فإن أمرك عظيم، فتكون النون للتعظيم، أو لأنه ألطف للتواضع، فلا يظن أنه يعبد الله وحده، بل كلنا نعبدك يا الله.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، فنبصر طريق الحق، وهو دين الإسلام، وهو صراط الرسول ﷺ الحق، واطلب من الله سبحانه الهداية، ولا تمل طلبها، فإن الهداية لا نهاية لها.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، تذكر بذلك أرباب السعادة من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ [الفاتحة: ٧]، تذكر الآن أهل الفسق من أهل الكفر والضلال، الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق ولم يتبعوه كاليهود، والذين لم يهتدوا عن جهل منهم، فهم هائمون كالنصارى، أما طريق أهل الإيمان فمشتملة على العلم الحق والعمل به.

ثم تدبر ما تيسر من قراءتك أو قراءة إمامك، ثم تقول: الله أكبر؛ لأن الشيطان ربما يكون قد شغلك، فتذكر نفسك بأن الله أكبر من هذه الوسوسة، ثم تقول: سبحان ربي العظيم، ومعناها: أي أنزه الله العظيم من كل شيء، فهو العزيز وأنا الذليل، وهو العظيم وأنا الحقير.

ثم لما ترفع وتقول: سمع لمن الله حمده، تعلم أن الله معك يسمعك ويراك.

ثم عند سجودك تضع جبهتك على الأرض، مع أنها أعز شيء لديك، تضعها لله تعالى طائعًا، ولعظمته خاشعًا، تضع جبهتك موضع الذلة، والانكسار، والخضوع، فكلما أذل العبد نفسه لمولاه؛ ازداد العبد رفعة وقربًا ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩ ﴾ [العلق: ١٩]، ثم يسجد على سبع، ويقول وأنفه على الأرض: سبحان ربي الأعلى، ثم بين السجدتين تقول: ربي اغفر لي، تذكر ذنوبك ومعاصيك، وهكذا في كل ركعة.

ثم تجلس للتشهد، حينئذٍ تكون قد وصلت إلى عتبة جلال مدبر الأرض والسماوات، فقل عند ذلك: (**التحيات لله والصلوات والطيبات**)، فالتحيات باللسان، والصلوات بالأركان، والطيبات بالجنان، ثم تقول: (**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**) فيجعل الله لروحك راحة وريحان، فتقول: (**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**)، ثم تقول: (**أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله**)، وكأنه قيل لك: مادام محمد عبد الله ورسوله، وهو الذي أرشدك، فأي شيء تهديه إليه؟ فكان الجواب: (**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**)، ولما كان إبراهيم ﷺ هو الذي طلب من الله أن يرسل إليك هذا الرسول قائلا لمولاه: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فقل: (**كما صليت على**

إبراهيم وعلى آل إبراهيم)، وكل ذلك من الحميد المجيد، فتقول: (**إنك حميد مجيد**).

يقول ابن القيم رحمه الله: (**لِلْعَبد بَين يَدي الله موقفان؛ موقف بَين يَدَيْهِ فِي الصَّلَاة، وموقف بَين يَدَيْهِ يَوْم لِقَائِه، فَمن قَامَ بِحَق الْموقف الأول؛ هوّن عَلَيْهِ الْموقف الآخر، وَمن استهان بِهَذَا الْموقف، وَلم يوفّه حقّه؛ شدّد عَلَيْهِ ذَلِك الْموقف**)[1].

وتعالوا معي عباد الله إلى سادات الخاشعين وعلى رأسهم رسول البشرية محمد ﷺ، يقول الرسول ﷺ: (**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**)[2].

وعن مطرف، عن أبيه رضي الله عنه، قال: (**رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ**)[3].

وكان ﷺ يصلي حتى تتورم قدماه، ويقول: (**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**)[4].

يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: (**كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُحِبُّ الصَّلاةَ فِي كَبِدِ اللَّيْلِ**)[5].

عن ثمامة بن عَبد اللَّهِ: (**كَانَ أَنَسٌ يُصَلِّي، فَيُطِيلُ الْقِيَامَ، حَتَّى تَفْطُرَ قَدَمَاهُ دَمًا**)[6].

وعن أبي أيوب: (**كَانَ لأَبِي هُرَيْرَةَ مَسْجِدٌ فِي مُخْدَعِهِ، وَمَسْجِدٌ فِي بَيْتِهِ، وَمَسْجِدٌ فِي حُجْرَتِهِ، وَمَسْجِدٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ، إِذَا خَرَجَ؛ صَلَّى فِيهَا جَمِيعِهَا، وَإِذَا دَخَلَ؛ صَلَّى فِيهَا جَمِيعِهَا**)[7].

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه ينصح ابنه فيقول له: (**يَا بُنَيَّ إِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةً؛ فَصَلِّ صَلَاةَ**

---

[1] الفوائد لابن القيم رحمه الله (٢٠٠).

[2] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٢٨).

[3] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٩٠٤)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٩٠٤).

[4] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (١١٣٠)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٨١٩).

[5] الطبقات الكبرى (٢١٧/٣)، لابن سعد رحمه الله.

[6] تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٦٩/٣)، للحافظ المزي رحمه الله.

[7] البداية والنهاية (١١٠/٨)، لابن كثير رحمه الله.

مُوَدِّعٍ، لَا تَظُنَّ أَنَّكَ تَعُودُ إِلَيْهَا أَبَدًا، وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَمُوتُ بَيْنَ حَسَنَتَيْنِ: حَسَنَةٍ قَدَّمَهَا، وَحَسَنَةٌ أَخَّرَهَا)[1].

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: (كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ عُودٌ مِنَ الْخُشُوعِ، وقَالَ مُجَاهِدٌ: وَحُدِّثْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ كَذَلِكَ)[2].

قَالَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ: (كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا سَجَدَ وَقَعَتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ، تَظُنُّهُ حَائِطًا لِسُكُونِهِ وَطُولِ سُجُودِهِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: قَسَّمَ عَبْدُ اللَّهِ الدَّهْرَ ثَلَاثَ حَالَاتٍ: فَلَيْلَةٌ قَائِمٌ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَلَيْلَةٌ رَاكِعٌ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَلَيْلَةٌ سَاجِدٌ حَتَّى الصَّبَاحِ)[3]، (وكان يومًا يصلي، فسقطت حية من السقط، فطوقت عَلَى بَطْنِ ابْنِهِ هَاشِمٍ، فَصَرَخَ النِّسْوَةُ، وَانْزَعَجَ أَهْلُ الْمَنْزِلِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ تِلْكَ الْحَيَّةَ، فَقَتَلُوهَا، وَسَلِمَ الْوَلَدُ، فَعَلُوا هَذَا كُلَّهُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يَلْتَفِتْ، وَلَا درى بما جرى حَتَّى سَلَّمَ)[4].

إذا تدبرنا ذلك عباد الله لقلنا: هذا كذب، أو افتراء، أو مبالغة؛ لأننا لم نشعر بعشر ما يشعرون، فهم وكأنهم انتقلوا إلى حياة أخرى، فلا يشعرون بما حولهم.

وها هو عروة بن الزبير (**عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجها إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة، وكان مبدؤها هناك، فظن أنها لا يكون منها ما كان، فذهب في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعهما وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه، وربما ترقّت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له: ألا نسقيك مرقّدا حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم**

---

[1] الزهد (١٠٠٧)، لأحمد بن حنبل رحمه الله.

[2] مصنف ابن أبي شيبة رحمه الله (٧٢٤٥).

[3] الكامل في التاريخ (٣/٤٠٧)، لابن الأثير رحمه الله.

[4] البداية والنهاية (٨/٣٣٤)، لابن كثير رحمه الله رحمه الله.

النشر؟ فقال: لا! والله ما كنت أظن أن أحدا يشرب شرابا أو يأكل شيئا يذهب عقله، ولكن إن كنتم لابد فاعلين؛ فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة، فإنى لا أحس بذلك، ولا أشعر به، قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة، من المكان الحي، احتياطا أنه لا يبقى منها شيء، وهو قائم يصلي، فما تصوّر ولا اختلج، فلما انصرف من الصلاة؛ عزاه الوليد في رجله، فقال: اللّهمّ لك الحمد، كان لي أطراف أربعة، فأخذت واحدا، فلئن كنت قد أخذت؛ فقد أبقيت، وإن كنت قد أبليت؛ فلطالما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت)[1].

كَانَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: (إِذَا تَوَضَّأَ؛ اصْفَرَّ، فَيَقُولُ لَهُ أَهْلُهُ: مَا هَذَا الَّذِي يَعْتَادُكَ؟ فَيَقُولُ: أَتَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ؟)[2].

يقول عبد الله بن المبارك:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ ... فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعُ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا ... وَأَهْلُ الأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ

يقول مجاهد في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]: (هُوَ الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُعُ)[3].

وكان عطاء بعد ما كبر وضعف: (يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ فَيَقْرَأُ مِائَتَيْ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهُوَ قَائِمٌ، لَا يَزُولُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَتَحَرَّكُ)[4].

وكان الفضيل بن عياض يقول: (كَانَ يُكْرَهُ أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ مِنَ الْخُشُوعِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي قَلْبِهِ)[5].

---

[1] البداية والنهاية (١٠٢/٩)، لابن كثير رحمه الله.

[2] الزهد (٢١٣٨)، لأحمد بن حنبل رحمه الله.

[3] معاني القرآن (٥١٤/٦)، للنحاس رحمه الله.

[4] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣١٠/٣)،لأبي نعيم رحمه الله.

[5] مدارج السالكين (٥١٧/١)، لابن القيم رحمه الله.

مسلم بن يسار: (**كَانَ قَائِمًا يُصَلِّي فَوَقَعَ حَرِيقٌ إِلَى جَنْبِهِ، فَمَا شَعَرَ بِهِ حَتَّى أُطْفِئَتِ النَّارُ**)[1]، وعن ميمون قال: (**مَا رَأَيْتُ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ مُلْتَفِتًا فِي صَلَاتِهِ قَطُّ خَفِيفَةً وَلَا طَوِيلَةً، وَلَقَدِ انْهَدَمَتْ نَاحِيَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَفَزِعَ أَهْلُ السُّوقِ لِهَدْمِهِ، وَإِنَّهُ لَفِي الْمَسْجِدِ فِي الصَّلَاةِ فَمَا الْتَفَتَ**)[2].

وها هو منصور بن المعتمر: (**كَانَ مَنْصُوْرٌ يُصَلِّي فِي سَطْحِه، فَلَمَّا مَاتَ؛ قَالَ غُلَامٌ لأُمِّهِ: يَا أُمَّه! الجِذعُ الَّذِي فِي سَطحِ آلِ فُلاَنٍ لَيْس أَرَاهُ! قَالَتْ: يَا بُنَيَّ لَيْسَ ذَاكَ بِجِذعٍ، ذَاكَ مَنْصُوْرٌ، وَقَدْ مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ**)[3].

وها هو الربيع: (**كَانَ يُصَلِّي فَسُرِقَ فَرَسُهُ، فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: سُرِقَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، هَذَا عَمَلُ النَّاسِ، قَالَ: كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَصْرِفَ وَجْهِي عَنِ اللَّهِ**)[4].

كذلك البخاري رحمه الله بعد أن صلى وأطال القيام: (**فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ، رفعَ ذيلَ قمِيصِهِ، فَقَالَ لبَعْضِ مَنْ مَعَهُ: انظُرْ هَلْ تَرَى تَحْتَ قمِيصِي شَيْئاً؟ فَإِذَا زنبورٌ قَدْ أَبَرَهُ فِي ستَّةِ عشرَ أَوْ سَبْعَةَ عشَرَ مَوْضِعًا، وَقَدْ تورمَ مِنْ ذَلِكَ جَسَدُهُ، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ القَوْمِ: كَيْفَ لَمْ تخرجْ مِنَ الصَّلاَةِ في أَوَّلَ مَا أَبَرَكَ؟ فَقَالَ: كُنْتُ فِي سُوْرَةٍ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُتِمَّهَا**)[5].

قال أبو محمد الجريري: (**قصدتُ الجنيد – رحمه الله تعالى– فوجدتُه يصلي، فأطال جدًا، فلما فرغ قلتُ له: قد كبرتَ، وَوَهَنَ عَظْمُكَ، ورقَّ جلدكَ، وضعفتْ قوتكَ، فلو اقتصرتَ على بعض صلاتك؛ فقال: اسكت، طريق عرفنا به ربنا لا ينبغي لنا أن نقتصر منه على بعضه، والنفس ما حملتها تتحمل، والصلاة صلة، والسجود قربة،**

---

[1] الزهد (١٤٠١)، لابن حنبل رحمه الله.

[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/٢٩٠)، لأبي نعيم رحمه الله.

[3] سير أعلام النبلاء (٥/٤٠٦)، للذهبي رحمه الله.

[4] الإشراف في منازل الأشراف (٨)، لابن أبي الدنيا رحمه الله.

[5] تاريخ بغداد (٢/٣٢٢)، للخطيب البغدادي رحمه الله.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ١٩﴾ [العلق: ١٩]، ومن ترك طريق القرب يوشك أن يُسلَك به طريق البعد، ثم أنشد:

صَبُرْتُ عَنِ اللَّذَّاتِ حَتَّى تَوَلَّتِ ... وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي هَجْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ

وَكَانَتْ عَلَى الأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً ... فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ

وَمَا النَّفْسُ إِلا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى ... فَإِنْ تُوِّقَت تَاقَتْ وَإِلا تَسَلَّتِ)[1].

يقول داود الطائي: (يَا أَخِي إِنَّمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاحِلُ، يَنْزِلُهُمَا النَّاسُ مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ سَفَرِهِمْ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرْحَلَةٍ زَادًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا؛ فَافْعَلْ، فَإِنَّ انْقِطَاعَ السَّفَرِ عَنْ قَرِيبٍ، مَا هُوَ وَالْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَتَزَوَّدْ لِسَفَرِكَ، وَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مِنْ أَمْرِكَ، فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَغَتَكَ، إِنِّي لَأَقُولُ لَكَ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَشَدَّ تَضْيِيعًا مِنِّي لِذَلِكَ)[2].

عباد الله، رحل أولئك السادة وبقى قرناء المهاد والوسادة، فأين وصفك من هذه الأوصاف؟ وأين شجر الزيتون من شجر الصفصاف؟

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ

يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ ... امْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ

مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ ... فَبِالِافْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِيَ أَدْفَعُ

مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ؟

وَمَنِ الَّذي أرجو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يمنع؟

---

[1] الصلاة والتهجد، لابن الخراط رحمه الله.

[2] كلام الليالي والأيام (٣٨)، لابن أبي الدنيا رحمه الله.